الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الدكتور مولاي الطاهر * سعيدة *

كلية الآداب و اللغات و الفنون

قسم اللغة و الأدب العربي

مذكرة لنيل شهادة ليسانس (ل . م . د)

تخصص : دراسات ادبية

الموسومة بـ :

جمالية المكان في الرواية الجزائريةالمعاصرة

- رواية سيدة المقام لواسيني الأعرج أنموذجا -

من إعداد الطالبتين:

✓ *عدو حنان*

✓ *مدني ايمان*

باشراف:

أ.دعباس محمد

السنة الجامعية 2018/2017

1439 / 1438

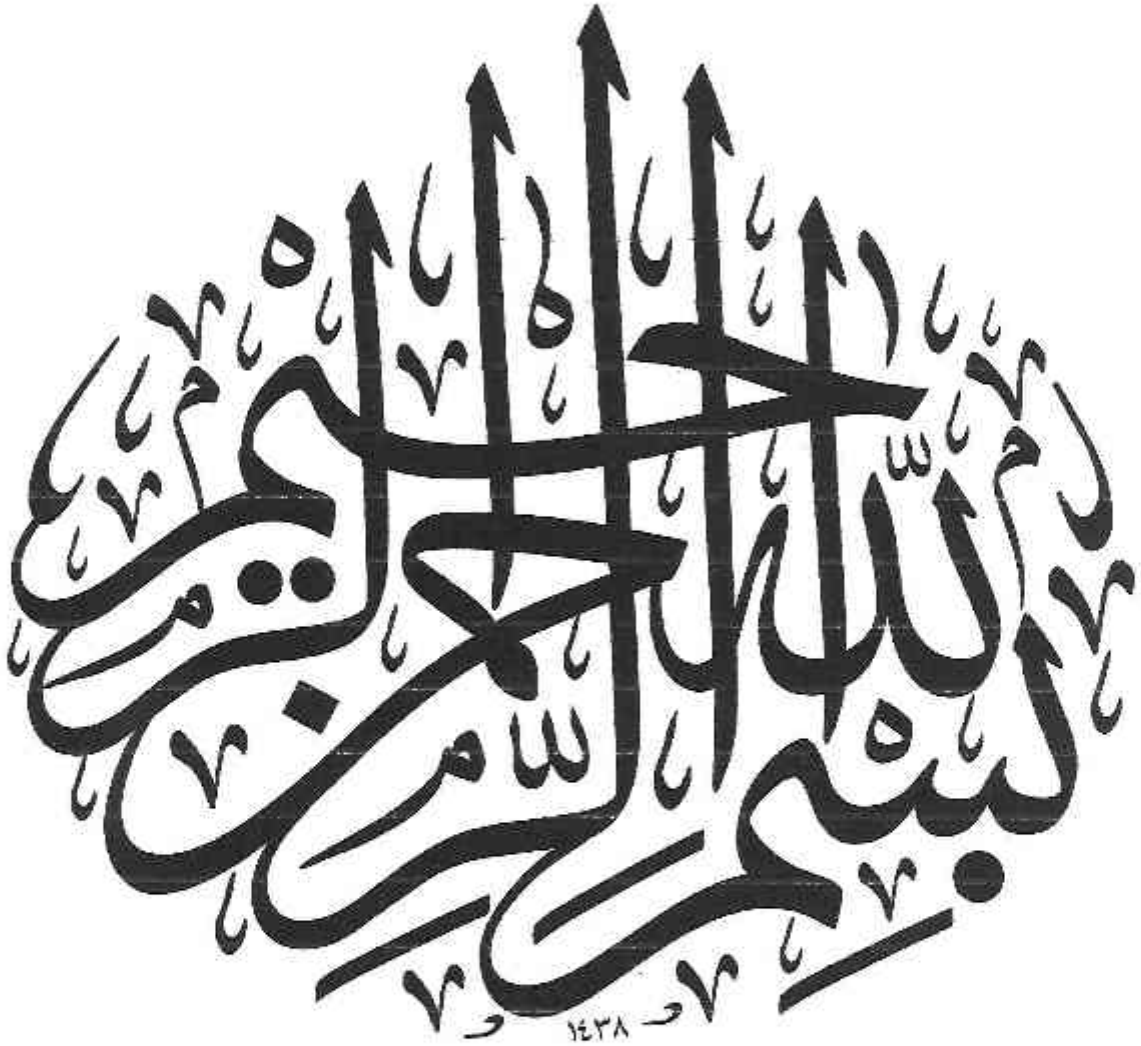
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

شكـــر وعرفـــان

نحمد الله ونشكره على نعمة العقل والصحة والتوفيق التي لا تكون إلا منه،

والصلاة والسلام على رسوله أكرم الخلق وهادي الأمة،

كما نتوجّه بالشكر والعرفان إلى أستاذنا الفاضل "عباس محمد" حفظه الله

والذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، وعلى نصائحه وتوجيهاته القيّمة، و إلى

كل أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بقراءة هذا البحث.

وإلى جميع الأساتذة الكرام في جامعة سعيدة كلية الآداب واللغات

والفنون.

إهـــداء

أهدي ثمرة جهدي:

إلى تلك الغالية على القلب، إلى معنى الحنان والحب، إلى تلك التي منحتني الحياة،

إلى تلك التي أحيا بها وأموت من أجلها "أمي"

إلى الذي ساندني ودعمني في مشواري الدراسي وعمل المستحيل لتوفير راحتي،

إلى من أحمل إسمه بكل إفتخار "أبي" العزيز.

إلى أخواتي: فتحية وخيرة ومروة.

إلى إخواني: جلول وعمر ومحمد أمين وبوبكر الصديق.

وإلى من شاركتني في إنجاز هذا البحث "عدو حنان".

وإلى أقرب صديقاتي: هناء، مريم، حنان، خولة.

وإلى كل طلبة هذه الدفعة 2018/2017.

إيمـان

إهـــداء

"كن عالما... فإن لم تستطع فكن متعلما، فإن لم تستطع فأحب العلماء،
فإن لا تستطع فلا تبغضهم".بعد رحلة بحث وجهد واجتهاد تكلّلت هذا البحث،
نحمد الله عز وجل على النعمة التي منّ بها علينا العليّ القدير.
أهدي ثمرة هذا الجهد إلى:

- إلى التي فارقت الحياة ولم تفارق ذاكرتي، إلى الغالية على القلب والعين ، إلى التي ملأت دنيايا أملا وحبا في الإجتهاد جدتي الحبيبة "مبروكة" رحمها الله تعالى وأسكنها فسيح جنانه.
- إلى تلك الغالية على القلب، ورفيقة الروح والدرب "أمي" التي أحيا بها وأموت من أجلها، جنتي فوق الأرض "مباركة" حفظها -الله ورعاها وأطال لي في عمرها.
- إلى أحبه وأقربه الناس إلى قلبي وأعز ما أملك في هذه الدنيا إلى إخوتي: "فاروق وأسماء".
- إلى كل الأهل والأحباب، وأخص بالذكر أطفال العائلة: "عائشة، يحيى، خديجة، دلال، مبروكة، عبد الله، محمد الحبيب، فاطمة الزهراء، مراد، محمد، رونق، فاطمة الزهراء، وصغيرة العائلة مريم".
- إلى رفيقة الدرب وشريكتي في هذا العمل "إيمان مدني".
- إلى أعز وأخلص الصديقات: "أمينة، مريم، حنان".
- إلى كل من ذكره قلبي ونسيه قلمي.

«يا رب إذا أعطيتني نجاحا فلا تفقدني تواضعيوإذا أعطيتني تواضعا فلا تفقدني اعتزازي بكرامتي»

حنان

مقدمة

مقدمة:

تتصدر الرواية قائمة الأجناس الأدبية وذلك لما تتوفر عليه من قدرة على مواكبة الواقع، إضافة إلى إسهامها في إنتاج المعرفة، ويمكن القول أن الرواية بنصوصها تسهم في صوغ الهويات الثقافية للأمم.

فالرواية العربية تشكل جنسا أدبيا مستحدثا من الثقافة العربية، وهذا أدى إلى اهتمام القراء في العالم العربي بها، أما الرواية الجزائرية فقد عرفت رواجا كبيرا من خلال صدور عدة أعمال روائية متنوعة شكلت مكانا مهما في الرواية العربية.

والمهتم بالرواية العربية والجزائرية لابد له أن يتطرق لدراسة بعض المكونات الفنية التي تشملها الرواية وفي مقدمتها المكان الذي يشكل بنية نصية معرفية في العمل الروائي، فهو عبارة عن دالة حركية ثقافية لها قوانينها المعرفية، إذ يساهم في تشكيل الأبعاد الدلالية للرواية.

إن اختيارنا لدراسة المكان في الرواية كان بفضل الأهمية التي يكتسبها المكان في معظم الروايات وتحديدا في الروايات الجزائرية.

- إضافة إلى عزوف الباحثين عن دراسة المكان في الرواية، مركزين على الزمن والشخصية.

- ميلنا إلى الرواية وحب الإطّلاع فيها.

و اخترنا رواية من روايات الكاتب الجزائري "واسيني الأعرج" وهي رواية "سيدة المقام"، ومن هنا تم طرح الإشكال التالي:

- ما هو المكان الروائي؟

- وما هي أنواعه؟

– ما هي الدلالات التي يحملها المكان في رواية سيدة المقام؟

ولإجابة على ذلك اتبعنا خطة بحث توزعت على فصلين يضم الفصل الأول ثلاثة مباحث أما الفصل الثاني خمسة مباحث، تقدمتها مقدمة ومدخل وتلتهما خاتمة وملاحق وقائمة المصادر والمراجع.

تناولنا في الفصل الأول أنواع المكان وحضوره في الفن والموروث العربي وفي الرواية الجزائرية، أما في الفصل الثاني فخصصناه لدلالة المكان في رواية "سيدة المقام" من خلال علاقته بالسلطة والدين والوعي و"المثقف".

وكغيره من البحوث لم يخلو هذا البحث من بعض الصعوبات التي تتعلق بصعوبة إيجاد النصوص المتعلقة بموضوعنا وصعوبة استغلال المراجع الموجودة.

وقد اعتمدنا في بحثنا على المنهج الوصفي التحليلي لدراسة دلالة المكان في رواية "سيدة المقام".

كما اعتمدنا في هذه الدراسة على المصدر الرئيسي وهو رواية "سيدة المقام" مع جملة المصادر والمراجع، نذكر من بينها الأهم: جماليات المكان في ثلاثية حنامينه لمهدي عبيدي و جماليات المكان بمجموعة من المؤلفين منهم سيزا قاسم و بوري لوثمان .

و في الأخير نحمد الله عز وجل الذي منحنا القوة و الإرادة لاستكمال هذا البحث ، و نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف "عباس محمد" الذي كان المرشد و الموجه لنا في بحثنا هذا و نرجو من الله أن يحفظه و يرعاه .

مدخل: ماهية المكان

يعتبر مفهوم المكان من أكثر المفاهيم إشكالية، باعتبار أن العديد من الفلاسفة والعلماء (اللغة ، الفيزياء) حاولوا التأصيل لطبيعة مفهومه فكان عدم الإجماع على مفهوم واحد، راجعا إلى طبيعة مصطلح المكان بحد ذاته، لما يحمله من دلالة و تعقيد من جهة ، ومن جهة أخرى اختلفت مفاهيمه لتعدد وجهات النظر وكذا تعدد منطق الدراسة والغاية منها، وعليه فقد شكل مفهوم المكان نقطة تقاطع بين عدة معارف لغوية وفلسفية وعلمية.

1- المفهوم اللغوي للمكان:

تتفق جميع المعاجم العربية على أن لفظة " المكان " مشتقة من المادة اللغوية ذات الأصل الثلاثي (م .ك.ن) ومما جاء في " لسان العرب " لابن منظور أن "مكن، المكن والمكن: بيض الضبة والجرادة ونحوهما "[1] ومن مشتقات هذه اللفظة المكانة والمكنان والمكان.

وجاء في " العين "للخليل بن أحمد الفراهيدي "المكان في أصل تقدير الفعل: مفعل لأنه موضع للكينونة، غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى الفعل "[2] والمكان هو الموضع وجمعه أمكنة وأماكن جمع الجمع.[3]

ومما ورد في مادة وضع، الموضع وهو اسم مكان، ووضع الشيء في المكان أثبته فيه.[4]

وجاء في أساس البلاغة لزمخشري "وضع الشيء موضعه ومواضعه والخياط يوضع القطن على الثوب

---

[1] ابن منظور: لسان العرب مج 13، دار صادر بيروت، لبنان، ط 3، ص 412.

[2] الخليل ابن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، ط 1، 2004، ص 790.

[3] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ص 414.

[4] ابن منظور: لسان العرب مج 8، ص 399.

توضيحا"[1]

والظاهر لنا من خلال تطرقنا إلى المفهوم اللغوي للمكان، وذلك بالرجوع إلى المعاجم العربية القديمة نجدها أنها تعاملت مع مفهومها من وجهتها الواقعية المادية.

2- المفهوم الفلسفي للمكان:

اختلف الفلاسفة في تحديد مفهوم للمكان منذ القدم ونظرا لأهمية المكان كعنصر أساسي من عناصر العمل الروائي نطرح آراء بعضهم:

حيث يرى أرسطو في تصوره للمكان "أنه موجود ما دمنا نشغله ونتحير فيه، وكذلك يمكن إدراكه عن طريق الحركة التي أبرزها حركة النقلة من مكان لآخر، والمكان لا يفسد بفساد الجسم."[2]

أي أنه يمكن إثبات وجوده من خلال الانتقال من مكان لآخر.

والمكان عند **أرسطو** قسمان عام وخاص، فالمكان العام هو الذي فيه الأجسام كلها، والخاص هو الحيز الذي يشغله الجسم بمقداره.[3]

بينما يرى **أفلاطون** أن المكان غير مستقل عن الأشياء، بل يتحدد ويتشكل من خلالها، فالمكان عنده أكثر من المسافة الممتدة والحاوية العامة للكائنات المحسة.[4]

وبالنسبة للفلاسفة المسلمين فإن مفهوم المكان لديهم لا يختلف عن مفهومه في الفلسفة اليونانية فقد عرّفوا

---

[1] الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، ج 2، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ط 1،(1419هـ - 1998م)، ص 223.

[2] حسن مجيد العبيدي: نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987، ط 1، ص 28.

[3] حسين مجيد العبيدي: المرجع نفسه، ص: نفسها.

[4] المرجع نفسه، ص 27.

المكان بأنه: "السطح الباطن للجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم."[1]

ويرى **أبو بكرالرازي** أن المكان ينقسم إلى نوعين، الأول هو المكان الكلي أو المطلق الذي يساوي الخلاء المطلق والثاني هو المكان الجزئي.[2]

أما**الفارابي** فيرى "أن المكان موجود وبيّن، ولا يمكن أن يوجد جسم من دون مكان خاص به."[3]

فهو أقرّ أن لكلّ جسم طبيعي مكانا خاصا يتحدد به هذا المكان وينجذب إليه الجسم.

وذكر**ابن سينا** أنه "قد قيل أن المكان مساو، فإما أن يكون مساويا لجسم المتمكن، وقد قيل أنه محال وإما أن يكون مساويا لسطحه، وهو الصواب."[4]

أما **الكندي** فعرّف المكان على أنه "السطح الخارجي للجسم الذي يحويه المكان".[5]

وفي الأخير نرى أن مفهوم المكان تطور عبر الزمان واختلف عند الفلاسفة القدماء المثاليين والماديين.

3- المفهوم الفيزيائي للمكان:

إن تصور **أينشتاين** للمكان في نظريته النسبية مفاده، أنه لم يعد المكان بالذات يوصف عبر الهندسة العادية، فعرّف المكان قائلا: "نقصد به المسافات التي تفصل بين المدن أو بين البلدان أو بين الأرض وبقية الكواكب والنجوم، أو بين نقطتين أو عدة نقاط في هذه الورقة"[6]

---

[1] عبد الرحمن بدوي: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج 2، بيروت، ط 1، 1984، ص 169.

[2] ينظر حسين مجيد العبيدي: نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، ص 38.

[3] المرجع نفسه، ص 34.

[4] مصطفى حسيبة: المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن عمان، 2009، ط 1، ص 603.

[5] حسين مجيد العبيدي: نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، ص 33.

[6] محمد عابد الجابري: مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط (؟)، بيروت لبنان، ص 357.

وأما **نيوتن**، فإنّه ميّز بين المكان المطلق والنسبي حيث عدّ " أن المكان المطلق وفي طبيعته الخاصة به، ويبقى دائما مشابها لنفسه وثابتا غير متحرك، أما المكان النسبي فهو يعد متحرك أو وساطة للأماكن المطلقة، تحدها حواسنا بوساطة وضعها إلى الأجسام ويعد مكانا ثانيا غير متحرك.[1]

تعالق الفضاء بالمكان في الدراسات العربية:

ولج مصطلح (**Espace**) أو (**Space**) وهو يقابل مصطلح الفضاء في الدراسات العربية بفعل الترجمة، التي ضمت للغتنا وأغنتنا بكمّ زاخر من المصطلحات الغربية ومفاهيمها.

يشيع مصطلح الفضاء عند النقاد الغربيين إذ يعنونون كتبهم ومقالاتهم في حين يظهر مصطلح المكان على إستحياء لآداء غايات يرتضيها أصحابها، أما العرب فلا يصطنعون مصطلح الفضاء في كتاباتهم النقدية بخاصة[2]، إنما يحتل مصطلح الحيّز عندهم مقاما طباعيا أكبر، كما قد يرفض البعض لفظة الفضاء ويرتضي تسمية أخرى، كما فعل **عبد المالك مرتاض** الذي يستعيض بها مصطلحا آخر وهو **الحيّز**، إذ يرى من منظور خاص أن المفهوم الأول "قاصر بالقياس إلى الحيّز، لأن الفضاء من الضّرورة أن يكون معناه جاريا في الخواء والفراغ، بينما الحيّز لدينا ينصرف استعماله إلى النتوء والوزن والثّقل بالحجم والشّكل، على حين أنّ المكان نريد أن نقفه في العمل الروائي على مفهوم الحيّز الجغرافي وحده"[3]

إنّ مشكلة الفضاء منذ البدء مشكلة عويصة، والتطورات حولها لازالت مشوّشة ومضطربة عند الغرب، فلا يوجد اتّفاق حول مفهومها أو وضع نموذج دقيق يبين دلالاتها الحقة، ولو أن **مرتاض** أبقى على المقابل

---

[1] مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنامينة (حكاية بحار، الثلج يأتي من النافذة، المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط (؟)، 2011م، ص29.

[2] ينظر: عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية "بحث في تقنيات السرد"، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ط (؟) ، 1998 ، ص (191، 142).

[3] المرجع نفسه، ص 141.

الأجنبي الأول (The Space) وترجمة بالفضاء، ونراه أسلم مصطلح وأدقه، وأوضحه، ليسير لنا على الأقل إشكالية وضع المصطلحات عديدة للفظة الواحدة، الذي سيزيد من اضطراب عملية التواصل وانعدام التفاهم بين الناس، خاصة إذا تحدّثنا عن مصطلح سردي كان ولازال متشعبا وغير واضح المعالم.

إنّ أهميّة المكان لا تخفى على أحد، لما يقوم به هذا المكوّن من دور رئيسي في حياة الإنسان، فمنه ينطلق وإليه يعود، أو ليست حياتنا ككل رحلة مكانية تبدأ برحم الأم وتنتهي بالقبر[1]،إن الاهتمام الكبير بالمكان يعود لحضوره الكثيف في كل مناحي حياتنا، ولعظم قدره في الحياة الإنسانية بعامة، "ولعله ما من قرين للترجمة البشرية مثله، فهو عمادها ومصطلحها وهو مغذيها وهو منطلقها ومصبها وهو ترجمتها أيضا"[2].

ينبّه **حسن نجمي** – ونحن نبحث في قضية المكان وعلاقته بالفضاء – إلى ملحوظة نراها هامة في هذا الصدد، مفادها أنّ "**غالب هلسا**"* ارتكب خطأ فادحا حين أقدم على ترجمة عنوان كتاب "**شعرية الفضاء**" **لغاستونباشلار** إلى **جمالية المكان** وهي الجناية الأولى التي شوّهت خصوصية هذين المصطلحين وتركت ظلالها على دراستنا فيما بعد.[3]

وقد يستغرب كثر وضع هذا العنوان، والحال أن المقابل العربي لهذا المصطلح (**L'espace**) هو الفضاء، كما أن المقابل العربي لمصطلح (**Le Lieu**) هو المكان، ومن يقارن بين عنواني الكتاب سيخرج بنتيجة واحدة مفادها مقارنة "هلسا" بين مصطلحي الفضاء، والمكان واعتبارهما وفق وجهة نظره سيّان ويشيران إلى مفهومين متطابقين، ولربما كان لقصر باع النقد العربي ذاته اتجاه مقولة الفضاء الدور الأكبر في إغفال هذا

---

[1] ينظر: فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية "دراسة نقدية"، فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، ط 1، 2003، ص 66.

[2] عبد الصمد زايد: المكان في الرواية العربية "الصورة والدلالة"، كلية الآداب منوبة، دار محمد علي للنشر، الجمهورية التونسية، ط 1، 2003، ص 7.

* غالب هلسا: أديب أردني ولد في إحدى قرى (ماعين)، توفي سنة 1989

[3] ينظر: حسين نجمي، شعرية الفضاء السردي المتخيل والهوية في الرواية العربية ،دراسة نقدية ،المركز الثقافي العربي ، بيروت ،لبنان،ط1،2000 ص 42.

الخلط وعدم تناول الأقلام النقدية له، لقد أثيرت قضية الفضاء والمكان في ندوة "الرواية العربية" التي أقيمت بفاس سنة **1979**، وذلك حين قسّم **"غالب هلسا"** المكان في دراسته الموسومة بـ "المكان في الرواية العربية" إلى ثلاثة أقسام هي: المكان المجازي، الهندسي، والمكان كتجربة معاشة[1*].

وما كان "محمد برادة" إلا أن دحض تقسيمه هذا قائلا: "لا يمكن تقسيم الأمكنة أو الفضاءات* في هذا الحال إلى مجازية لأنها كلها مجازية لا تساوي الواقع (...) كما لا يمكن أن نقول: مكان هندسي أو مكان معاش لأن جميع الأمكنة لها أبعاد هندسية قد يصفها الكاتب وقد لا يصفها وقد يستنبطها من خلال إحساساته الداخلية، والمكان العادي يظل بدوره فضاء (...) إن هذه التصنيفات (...) تعوم إدراكنا لأهمية الفضاء.[2]

وإن حاول "هاسا" الدفاع عن نفسه وتفسير سير اختياره ذلك قائلا: "إن ما أعنيه بالمكان هنا هو المكان البسيط ذو الأبعاد الثلاثة: وقد اضطررت لأسباب منهجية أن أعزله عن المكان والحركة رغم استحالة العزل فعليا (...) أفعل ذلك لدواعي منهجية لا علاقة لها بالرؤيا"[3]

لقد ظهرت فيما بعد دراسات عديدة ولعت بمقولة المكان، وعكفت على تحديد مفهومه ومدارسته، والبحث في جمالياته وشعريته حسب الممارسة النقدية لهذا الناقد أو ذاك.

ويتجلى ذلك في اطّلاعنا على بعض الكتب التي تمكّنا من الظفر بها، مثل "الرواية والمكان" لياسين الناصير، و"جماليات المكان في الرواية العربية" للشاكر النابلسي، و"بنية النص السردي" لحميد الحمداني و"المكان في

---

[1] غالب هلسا: المكان في الرواية العربية، مجموعة من الباحثين، الرواية العربية (واقع وآفاق)، دار ابن رشد للطباعة والنشر، ط 1، 1981، ص (217، 225).

* يذكر محمد عزام أن دراسة هلسا هي أول دراسة عربية نبهت النقاد.

* يقرن النقاد العرب بين مصطلحي (الفضاء) و(المكان) ويجعلانهما سيان.

[2] مجموعة من الباحثين، الرواية العربية، "واقع وآفاق"، (ضمن مناقشات ملتقى الرواية العربية الجديدة)، ص 396.

[3] المرجع نفسه، ص 400.

الرواية البحرينية" لفهد حسين، التي نعدّها دراسة متعمّقة وشاملة في بابها تنظيرا وتطبيقا لشعرية المكان وجمالياته، وإذا كان الدارسون العرب يفضلون مصلح المكان ويرتضونه لدراساتهم على حساب الفضاء، فإنّنا نود بداءة التقديم هذا الجدول الذي سنرصد فيه المدلولات اللغوية لمصطلحات ارتبطت بهذين المكونين "الفضاء والمكان" مستقاة من معجم لسان العرب[1]

لكلمة	المادة	مفهـــومها	المجلد	الصفحة
الفضاء	فضا	المكان الواسع من الأرض (..) والفضاء: الخالي الفارغ الواسع من الأرض. والفضاء: الساحة وما اتّسع من الأرض. الفضاء: ما استوى من الأرض واتسع.	15	157،158
الفراغ	فرغ	الخلاء (..) وفي التنزيل: وأصبح فؤاد أم موسى فارغا، أي خاليا من الصبر (..) وطريق فريغ: واسع	5	119
الخلاء	خلا	خلا المكان أو الشيء (..) إذا لم يكن فيه أحد ولا شيء فيه، وهو خال والخلاء من الأرض: قرار خال.	2	310
الملا	ملا	الملا واحد وهو الغلاة (..) وأما الملا: المتسع من الأرض.	6	96
المجال	جلّ	جل البيت: المكان الذي ضرب فيه وبني. الجل من الأرض ج الجلالي القطعة ذات جدار.	1	154
المكان	مكن	موضع الكينونة الشيء (..) والمكان: الموضع.	6	83
الحيّز	حوز	حزت الأرض: إذا أعلمتها وأحييت حدودها وحوز الدار وحيّزها: ما انظم إليها من المرافق والمنافع. وكل ناحية على حدة حيّز (..) وفي الحديث: فحمى حوزة الإسلام أي حدوده ونواحيه (..) التحوز: من الحوزة: وهي الجانب كالتنحي من النّاحية (..) والحوزة: الناحية.	2	185
الموضع	وضع	وضع الشيء في المكان: أثبة فيه.	6	484
الموقع	وقع	موضع لكل واقع (..) والموقع والموقعة: موضوع الوقوع.	6	475،476
البقعة	بقع	بقعة من الأرض على غير هيئة التي يحذبها (..) والبقيع من الأرض: المكان المتّسع ولا يسمى بقيعا إلا وفيه شجر	1	234

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 1، 1997.

المحل	حلل	نقيض المرتحلة (..) ويكون المحل، الموضوع الذي يحل فيه (..) والمحلة: منزل القوم (..) والمحلة جماعة بيوت الناس لأنها تحل (..) والحلة: مجلس القوم لأنهم يحلونه.	2	141،142
البيئة	بوأ	تبوّأت منزلا أي نزلته (..) وتبوّأ المكان: حله (..) والبيئة (..) المنزل (..) وقيل منزل القوم حيث يتبوّأون من قيل واد أو سند، جبل؛ وفي الصحاح: المباءة: منزل القوم في كل موضع ويقال: كل منزل ينزله القوم[1]	1	268،269

إنّنا نلحظ التّقارب الشديد بين مدلولات الألفاظ، على أنه يمكن تقسيمها إلى قسمين أساسيين يضم الأوّل منه (الفضاء← الملأ) في حين يحوي الثاني (المحل← البيئة)، ففي التقسيم السابق اعتمدنا على خصيصتين رئيسيتين أولهما: "محدود وغير محدود"، فالفضاء يمثّل الاتساع والامتداد والفراغ، بحيث هو كل ما يحيط بنا دون أن نلمس له حدودا، فالصحراء مثلا بامتدادها تمثل فضاء، على خلاف المكان الأضيق المعلم الموجود بكينونة شيء ما، أما ثانيتهما فهي" ملموس ومجسّد* و"غير ملموس ومجسّد" حيث يتم إدراك المكان بواسطة الحواس أو التصور الذهني، وهذا يؤيّد وجوده وإتصافه بالكينونة، بحيث أن مثل هذه الصفة لا يمكن إسقاطها على الفضاء.

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 1، 1997.

الفصل الأول: المكان الماهية والمفهوم

المبحث الأول: تجليات المكان

- المكان في الفن

- المكان في الموروث العربي

المبحث الثاني:المكان في السرد الروائي

- المكان الروائي

- أنواع الأمكنة

المبحث الثالث: حضور المكان في الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية

الفصل الأول: المكان الماهية والمفهوم

المبحث الأول: تجليات المكان

1- المكان في الفن:

يختلف المكان الواقعي عن المكان الفني بالرّغم من أهمية الأول، إلا أن المكان في الفن يشكّل اهتمام النقّاد والباحثين في علم الجمال، وجاء في كتاب "جماليات المكان" لجماعة من الباحثين "أنّ المكان حقيقة معاشة ويؤثّر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه، فلا يوجد مكان فارغ أو سلبي، ويحمل المكان في طيّاته قيما تنتج من التنظيم المعماري، كما تنتج من التوظيف الاجتماعي، فيفرض كل مكان سلوكا خاصا على النّاس الذين يلجؤون إليه، والطريقة التي يدرك بها المكان تضفي عليه دلالات خاصة، فالأماكن الدّينيّة تفرض علينا ارتداء ملابس محتشمة والكلام بصوت خفيض."[1]

وينظر *لوتمان في تحدّثه عن المكان الفني نظرة خاصة إلى العمل الفني مكان محدّد المساحة (اللّوحة الفنيّة، أو التّمثال، أو القصيدة أو الرواية) فمن جانب يشغل العمل الفني حيّزا معيّنا في الكون الفسيح ولكنّه من جانب آخر يمثّل في هذا الحيّز المحدود حقيقة أوسع منه وأشمل هي العالم اللامتناهي.[2]

ونشأ الاهتمام بالمكان الفني نتيجة لظهور بعض الأفكار والتصورات التي تنظر إلى العمل الفني على أنّه مكان تحدّد أبعاده تحديدا معيّنا، وهذا المكان من صفاته أنّه متناه، غير أنّه يحاكي موضوعا لا متناهيا هو العالم الخارجي، الّذي يتجاوز حدود العمل الفنّي.[3]

---

[1] جماليات المكان: لجماعة من المؤلفين، المغرب، دار البيضاء، ط 2، 1988، ص 63.

* من أهم الباحثين الروس في مجال السيميائيات (1922-1938) وهو مؤسس مدرسة تارتو.

[2] المرجع نفسه، ص 65.

[3] المرجع نفسه، ص 68.

وجاء في كتاب جماليات المكان في ثلاثية حنامينه لمهدي عبيدي "أنّ الأمكنة الفنيّة تستأثر باللّذة الجمالية التي تعجز الأمكنة الواقعية عنها، فالأمكنة الفنيّة تختزل النشاط البشري الإبداعي، وتتّسم بالدّيمومة وسهولة التّواصل، وإن المكان الفني مصدر لعلوم إنسانية مختلفة، وللأمكنة الفنيّة الطبيعيّة تخييلية، وأخيرا فالمكان الفني سالب قابل للتغيير اللاانهائي، وتلقي المؤثرات، وإن الأمكنة مرتبطة ببدايات التشكل الثقافي والعقائدي لجماعة معينة حيث ينظم المكان الفني إلى التراث الثقافي والروحي للمجموعة الثقافية المتعاملة معه، والمكان الفني منفصل عن المكان الطبيعي أكثر مما هو متصل معه.[1]

وذكر غاستونباشلار في كتابه "جماليات المكان" أن المكانية تذهب إلى أبعد من ذلك، وهي أكثر تحديدا، وأنها تتصل بجوهر العمل الفني أي الصورة الفنيّة.[2]

ومن هذا المنطلق نجد أن المفاهيم حول المكان في العمل الروائي كثيرة ومتعددة، فكل ناقد أو عالم مهتم بمفهوم المكان الروائي على اختلاف التناول فلسفيا أو اجتماعيا أو فنيا، حاول تحديد هذا المفهوم بحسب اختصاصه.

2- المكان في الموروث العربي:

كان الشاعر يتأثر بكل ما يحيط به من ظروف وبما ينتابه من أحداث، كما كان للمكان أثر فيها من خلال النصوص الشعرية التي اشتملت على أماكن مختلفة، كالأماكن الطبيعية والتاريخية التي كانت تتصدرها مقدمات القصائد ، فقد كان للمكان حضور في النصوص الأدبية خاصة منها الشعرية حضورا طاغيا، فالمتصفح للشعر العربي يلاحظ مدى ارتباط الشاعر ببيئته وتأثره بها، وقد كان يأخذ أشكالا وصورا متعددة

[1] مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنامينة (حكاية بحار، الثلج يرقأ البعيد)، ص 34.

[2] غاستونباشلار: جماليات المكان، ترجمة غاليا هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط 2، 1404هـ، 1984م،ص 6.

في ذهنية صاحبه، وبهذا كان المكان بالنسبة للشاعر أرضا خصبة للتعبير عما يجول في خاطره ومشاعره مما جعله يتحول إلى غرض خاص لتلبية الدواعي و المواقف الكامنة في نفسيته.[1]

وبعد ارتباط الشاعر بالمكان أدى هذا الارتباط إلى ظهور الطلل وحضوره حضورا طاغيا وانتشاره في الشعر العربي. واعتبر الطلل السّمة التي يعرف بها الشعر العربي الجيد المكتمل على مر العصور، وكأن القصيدة الخالية من الطلل قصيدة ناقصة ومبتورة أو هي التي لم تنل من النضج والاكتمال الحظ الأوفر.[2]

وذلك لأنهم وجدوا في الطلل مفتاحا يفتحون به قصائدهم وعاملا تتحرك به النفس في كنف الحياة، فوظف الشعراء المكان توظيفا اجتماعيا ليصور طبيعة الحياة الاجتماعية السائدة في تلك الفترة.[3]

بمعنى أن الشاعر يوظف المكان ليبين الحالة الاجتماعية التي كان يعيش فيها.

وقد حملت هذه الأماكن التي وظفها الشعراء دلالات عميقة من حيث الجمع بين المكان والمرأة فكان فيها المكان رمزا للفناء والدمار، أما المرأة فكانت رمزا للبقاء والحياة.[4]وهنا يكون الشاعر قد سلك نهجا فلسفيا يجمع بين أمرين متناقضين.

وتعد تجربة الطلل الوسيلة التي عبر فيها الشاعر على القيم والمبادئ، التي تشير إلى العلاقة الحميمية التي ربطت الإنسان العربي بدياره، وهي إشارة قوية بين الشاعر والمكان[5] ، وقد حلق العرب في رسم الحيز الذي تضطرب فيه الحكاية (ألف ليلة وليلة)، أو المقامة (مقامات الحريري، الهمذاني) وتمثلت أحيازها

---

[1] عمار بن لقريشي، دلالة المكان في الشعر الجاهلي، جامعة محمد بوضياف، مسيلة، ص 87.

[2] حبيب مونسي، فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط (؟) ، 2001.

[3] عمار بن لقريشي، دلالة المكان في الشعر الجاهلي، ص 90.

[4] حوادي هنية ،صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، مذكرة دكتوراه، جامعة محمد خيضر ،بسكرة، 2012،ص24.

[5] عمار بن لقريشي، دلالة المكان في الشعر الجاهلي، ص 87.

في الأسواق والمطاعم، والمساجد، الطرقات، ساحات المدن، وبعض الجبال والأماكن النائية عن مراكز الحضارة ومواقع العمران.[1]

وقد ذهب الناقد عبد الملك مرتاض في كتابه (نظرية الرواية) إلى حديثه عن المكان في الموروث السردي العربي بأن: "فعبقرية التشكيل الأدبي في رائعة ألف ليلة وليلة تتمثل إذن في تعاملها مع الأحياز وقدرتها العجيبة وذلك بفضل عبقرية الخيال الشعبي على إنشاء هذه الأحياز وإعطاءها أسماء عجائبية تمنحها "الشرعية" الجغرافية الوهمية"[2] وذلك لأن عالم العبقريات يشغل فيها مكانة مركزية.

وتغير واقع المكان وتحول الشاعر من بيئة البادية القاسية إلى نقيضها، وهي المدينة التي كانت مكانا للمتعة والسعادة وهذا ماتراه عند أبي نواس في الأبيات التالية:

بلاد نبتها عشر وطلح وأكثر صيدها ضبع وذيب

ولاتأخذ عن الأعراب لهوا ولا عيشا فعيشهم جديب

فأين البدو من إيوان كسرى وأين من الميادين الزوب[3]

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، ص 130.

[2] المرجع نفسه، ص 138.

[3] أبو نواس، الديوان، تح أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ص 134.

المبحث الثاني: المكان في السرد الروائي

الفضاء الروائي:

تعد قيمة المكان في الرواية العربية كبيرة بحيث تنبثق أهمية دراسة المكان في الرواية من كونها مرشدا إلى نماذج أكثر دلالة على الحياة، وعلى الرغم من هذه القيمة الكبرى للمكان في الرواية العربية فإنه لم يلقى الاهتمام اللازم من قبل الباحثين والنقاد، بحيث أن لا الأحداث ولا الشخصيات يمكن أن تلعب أدوارها في الفراغ، ومن هنا تأتي أهمية المكان كعنصر حكائي قائم بذاته إلى جانب العناصر الفنية الأخرى المكونة للرواية.

ولعل دراسة "**غالب هلسا**" للمكان في الرواية العربية[1] هي أولى الدراسات التي تناولت المكان باعتباره عنصرا حكائيا مهما في الرواية، وقد تطرق الباحث إلى علاقة التأثير المتبادل بين المكان والسكان، ويبين أن المكان ليس ساكنا، بل هو قابل للتغيير بفعل الزمان، وقد صنف المكان في ثلاثة أنواع:

1- المكان المجازي: وهو المكان الذي نجده في رواية الأحداث المتتالية، حيث نجد المكان ساحة للأحداث، ومكملا لها، وليس عنصرا مهما في العمل الروائي، وأنه سلبي مستسلم، ويخضع لأفعال الشخص.

2- المكان الهندسي: وهو المكان الذي تعرضه الرواية بدقة وحياد، من خلال أبعاده الخارجية.

3- المكان كتجربة معاشة داخل العمل الروائي: وهو قادر على إثارة ذكرى المكان عند المتلقي، ولعل المؤلف عندما استعاد ذكرياته عن المكان، جعل هذه الاستعادة لدى المتلقي، نوعا من ذكرى المكان الخاص به، وهذا المكان نادر الوجود في الرواية العربية، ولعل دراسة **هلسا** هي أول دراسة بالعربية، نبّهت النقاد والباحثين إلى أهمية المكان في الإبداع الروائي العربي .

[1] ينظر: (محمد عزام، فضاء النص الروائي مقاربة ... تكوينية في أدب نبيل سليمان،، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية ط1، 1996، ص 111.

رغم تأثرها بدراسة(**جماليات المكان**)**لغاستون باشلار** التي عربها **هلسا** نفسه.[1]

ثم جاءت **سيزا قاسم** فدرست المكان كأحد فصول كتابها "**بناء الرواية**"**1985**، واعتبرته مكانا خياليا، يبنى وفق بناء تحتي، وبناء فوقي مع إضافة علاقة الإنسان مع المكان الذي يعيش فيه.

كما درس **حسن بحراوي** المكان في كتابه "**بنية الشكل الروائي**" **1990** كأحد عناصر ثلاثة هي (الزمان،المكان،الشخصية) في الرواية وأطلق عليه اسم (الفضاء الروائي)، نظرا لأهميته الكبيرة في تأطير المادة الحكائية جعله عنصرا شكليا في الرواية وأوضح أن المكان يتشكل وفق بنائين:**بناء فوقي** يتم باختراق الأبطال له، و**بناء تحتي** يتشكل من خلال الانسجام مع طبائع الشخصيات والتأثير المتبادل بين المكان والسكان، والمنظور الذي تتخذه الشخصية الروائية هو الذي يحدد أبعاد المكان (الفضاء الروائي) فحين تكون وجهة النظر متقطعة يأتي وصف المكان مجزءا مفككا، وحين تكون الرؤية متسعة يأتي وصف المكان موحدا وشموليا.

ومن هنا يبدو أن المكان يعاش على عدة مستويات: من قبل الراوي بوصفه كائنا تخييليا، ومن قبل الشخصيات الأخرى، ومن قبل القارىء الذي يقدم بدوره وجهة نظر خاصة.

وهكذا يصبح المكان شبكة من العلاقات ووجهات النظر التي تتضامن لتشييد (**الفضاء الروائي**) الذي تجري فيه الأحداث.

وقد طبق **بحراوي** هذه المعلومات النظرية عن المكان على بعض الروايات المغربية، معتمدا مبدأ التقاطب(وهو مصطلح يدل على التقابل بين متضادين) وقد طبقه **يوري لوثمان** في كتابه "بنية النص الغني"

[1] ينظر: (محمد عزام، فضاء النص الروائي مقاربة ... تكوينية في أدب نبيل سليمان،، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية ط1، 1996، ص111-112 .

وجعل الفضاء الروائي أداة في بناء النماذج الثقافية والاجتماعية، فالنماذج الاجتماعية مثلا تتوضح عن طريق التقابل بين الطبقات (العليا) والطبقات (الدنيا)، والنماذج الدينية تتوضح عن طريق التقابل بين (اليمين) و(اليسار) وحين طبق **لوثمان** منهجه هذا على أشعار (**تيوتشيف**)وجد ثنائية (الأعلى)و(الأسفل)، وانتهى إلى أن (الأعلى) يرتبط عند هذا الشاعر بالاتساع والنزعة الروحية والحياة الحقة، وأن (الأسفل) يرتبط عنده بالضيق والنزعة، المادية والموت، ودرس المكان وفق المحاور التالية:

1- أماكن الإقامة الاختيارية: فضاء البيوت

2- أماكن الإقامة العمومية : فضاء السجن

3- أماكن الانتقال الخصوصية: فضاء الأحياء الشعبية والراقية

4- أماكن الانتقال الخصوصية: فضاء المقاهي

كما درس **الحمداني حميد** المكان الروائي في كتابه "**بنية النص السردي**"**1991**، وصنف (**الفضاء الروائي**) في ثلاثة أنواع:

1- الفضاء كحيز جغرافي في الرواية: وكمكان يتحرك فيه أبطال الرواية، وعند ذكر أسماء الأماكن يثار خيال القارئ لاستدعاء ذكرياته المتعلقة بتلك الأماكن[1].

2- الفضاء كمنظور أو كرؤية: وهو الطريقة التي يستطيع بواسطتها الراوي أو الكاتب السيطرة على عمله السردي، وعلى أبطاله الذين يحركهم.

[1] ينظر: (محمد عزام، فضاء النص الروائي مقاربة ... تكوينية في أدب نبيل سليمان،، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية ط1، 1996، ص113 .

3- الفضاء كمكان تشغله الكتابة باعتبارها حروفا تحتل حيزا مكانيا من الصفحة الورقية، ويشمل ذلك طريقة تصميم الغلاف، وتنظيم الفصول، وحروف الطباعة، وتشكيل العناوين...إلخ.[1]

فلهذه دلالاتها التي تزيد (الدلالة)عمقا وثراء.

ولقد تحدثت **جوليا كريستيفيا** عن الفضاء الجغرافي في الرواية، في كتابها **"النص الروائي" 1976** وجعلته دليلا على حضارة عصره، حيث تسود ثقافة معنية، أو رؤية خاصة للعالم، تسميها **كريستيفيا(لوجيم)**العصر، والإيديولوجيم عندها هو الطابع الثقافي العام لعصر من العصور، ولذلك تنبغي دراسته في(تناصيته)، أي في علاقته مع النصوص المتعددة لعصر ما، أو حقيقة تاريخية محددة.

ولدى تطبيقها هذه المقولة على النصوص الروائية وجدت أن الفضاء الجغرافي لعصر الروائي **انطون دولاسال De lasale** مثلا (1385 .1460) هو بداية عصر النهضة الأوروبية، قبل اكتشاف خفايا اللاشعور الإنساني وهذا الفضاء يعتمد الثنائيات الضدية، حيث تتقابل فيه الأضداد: الأرض، السماء، الجنة، النار، الدير، الخطيئة..

والواقع إننا لم نجد اليوم، دراسة تميز، بشكل دقيق، بين الفضاء والمكان، ولذلك يمكن اعتبار **(الفضاء الروائي)** هو مجموع الأمكنة المحددة جغرافيا، والتي هي مسرح الأحداث، وملعب الأبطال، هذا إذا لم نأخذ بالفضاء كمنظور، وبالفضاء كدلالة.

[1] ميتران، النص الروائي، ص 192.

المبحث الثالث: حضور المكان في الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية (جدل الهامش والمركز)

نشأت الرواية الجزائرية مرتبطة بعالم الريف ، فكانت القرية كما في واقع الحياة، المجال المفتوح الموحي بالحرية، والفضاء المركزي الخاص للهوية،[1] وقد بدأ موضوع الثورة والصراع مع المستعمر في أغلب التجارب الروائية، يستقطب اهتمام الكتاب، ويحول دون انشغالهم بمختلف القضايا المطروحة أمامهم.[2]

وبحلول مرحلة السبعينيات ساعدت التحولات الاشتراكية كتاب الرواية، وبخاصة المنحدرين منهم من أصول ريفية، على الإهتمام بالريف واتخاذه بيئة لرواياتهم، ويمكن أن نشير –على سبيل التمثيل لا الحصر– إلى رواية ريح الجنوب* لعبد الحميد بن هدوقة، التي تناولت موضوع القرية الجزائرية التي تعاني عوارض الطبيعة، وأيضا موضوع المرأة الريفية والإقطاع، ويطرح الكاتب في روايته "الجازية والدراويش"* إشكالية الأرض والإقطاع، والمرأة، ولكن في صياغة جديدة تتأسس على الواقع، وتستثمر التراث الأسطوري.

ويبرز من جيل الرواد الروائي "الطاهر وطّار" في روايته: اللاز* والعشق والموت في الزمن الحراشي، تناول اللّاز ثورة التحرير الوطني، وصراعاتها الداخلية وقد اختار "وطار" لأحداث هذه الرواية القرية، فبدت بيئته بالغة التخلف، تشكو الفقر والأمية، وأكّد في هذا النص، أن الثورة انطلقت من الريف، واشتدت بفعل نضال أهله.

---

[1] ينظر أحمد طالب: جمالية المكان في القصة القصيرة الجزائرية، الأثر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ورقلة، الجزائر، ع4، ماي 2005، ص 277.

[2] ينظر واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، (بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط(؟)، 1986، ص 277.

* عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

* عبد الحميد بن هدوقة، الجازية والدراويش، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

* الطاهر وطار، اللاز، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، ط4، 1983.

وتطرح رواية اللاز الثانية[1] 1980 أزمة التحولات الديمقراطية في جزائر الإستقلال، وهي امتداد لرواية اللاّز الأولى على المستويين الفكري والجمالي.

ويذهب واسيني الأعرج إلى "أنهما في الأساس عمل واحد يجسد مرحلتين تاريخيتين في الشكل منفصلتين، وفي العمق ليستا إلا مرحلة واحدة ممتدة عبر قنوات تطورها"[2]

فالرواية إذا تحاول أن تقف على أهم الإنجازات الديمقراطية –في الجزائر– وعوائقها، فكان لها أن عالجت موضوع الثورة الزراعية، والتطوع الطلابي، وموضوع المرأة، والدور الذي يمكن أن تضطلع به في مرحلة البناء والتشييد.

دفع هذا الاهتمام المكثف بالبيئة الريفية الروائي الطاهر وطار إلى القول في المقدمة الطويلة التي خصّ بها رواية مرزاق بقطاش "طيور في الظهيرة".*

الروائي الجزائري قبل صدور هذه الرواية لا يعكس سوى الإنسان الريفي في صراعه مع الحياة وفي انتصاره أو في انهزامه، لا يتعرض إلا بصفة سطحية للمدينة.

لكن، إذا كانت التحولات التي عرفتها الجزائر في فترة السبعينيات، قد ساعدت على مكانة هامة للريف، أو أسهمت في أدنى تقدير على ظهور جدلية القرية، والمدينة في كثير من التجارب الروائية، فإن فترة الثمانينات لم تعدم وجود بعض الروايات التي اهتم كتابها بالريف، من بين هؤلاء الروائي واسيني الأعرج بروايته "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش و"نوار اللوز" اللّتين تدور أحداثهما في فضاء القرية.

---

[1] الطاهر وطار: العشق والموت في الزمن الحراشي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981.

[2] واسيني الأعرج: الطاهر وطار وتجربة الكتابة الواقعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1983، ص 60.

* مرزاق بقطاش، طيور في الظهيرة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981.

وبحلول مرحلة التسعينيات أقبلت الرواية الجزائرية على المدنية، وتحوّل المكان الذي كان مركزا في المرحلة السابقة إلى هامش في المرحلة اللاحقة، وزحفت الأرصفة، والجدران الإسمنتية الجديدة... وألقت الرواية نفسها حبيسة المدنية لكنها لهذا السبب أضحت أكثر قدرة على التقاط الجزئي، واليومي، والهامشي.[1]

[1] ينظر نجيب العوفي: مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية (من التأسيس إلى التجنيس)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص 568، ص 569.

الفصل الثاني: دلالات المكان في رواية "سيدة المقام"

المبحث الأول: ملخص الرواية

المبحث الثاني: سلطة المكان

المبحث الثالث:الدين / الوعي

المبحث الرابع: علاقة المثقف بالمكان / المثقف والحلم الضائع

المبحث الخامس: مأساوية الذات / وحدة المصير

الفصل الثاني:دلالات المكان في رواية "سيدة المقام"

المبحث الأول: ملخص الرواية

هي رواية من الروايات الثقافية العربية، تقع في 240 صفحة وهي عبارة عن أنشودة طويلة وحزينة للحياة والحب والحرية والجمال، وتبني أحداثها حول بطلتها الراقصة للباليه "مريم" التي ترقص مذبوحة من الألم بالإضافة إلى الراوي (السارد)، وهما الشخصيتان اللتان تدور حولهما وتتشكل من خلالهما الرواية.

"وسيدة المقام" رواية من روايات الكاتب الجزائري "واسيني الأعرج" تحكي قصة مدينة مهزومة تلاشت فيها قصص الحب والعشق، ومدينة خلت من التحضر والحياة.

وهي رواية تعود أحداثها إلى أيام الفاجعة والسواد حين أصبحت البلاد تسرق منها الحياة، بطلتها مريم راقصة للأوبرا الجزائرية سكنها الرقص حتى العظم، بنت مدينة سيدي بلعباس، حكت ثناياها عن مواجهتها لشراسة وظلم المدينة الذي تجسد في جماعات إسلامية "حراس النوايا" الذين ظنوا أنهم سيستعيدون أمجاد الربع الخالي ومفاتيح الخلافة الإسلامية.

وتعددت فصول هذه الرواية إلى أحداث تاريخية وإلى أحداث سياسية واجتماعية وواقعية وإلى أحداث تعيسة، وكانت فصولها الإحدى عشر تسرد وتعدد الشخصيات بتغيير الأحداث والأجواء.

افتتحها الراوي بتصوير المدينة التي لا تزال تموت رغم موتها بفعل الألم وزوال الحياة فيها، فتنمو فيها قصة حب بين الراوي وصديقته البطلة في وسط مجتمع ظالم سيطرت عليه الأفكار الدينية المتطرفة، ليعرج بعدها إلى المستشفى واصفا إياها من خلال حيطانه البيضاء وسقفه، وألبسة عماله البيضاء، لينتقل إلى فتنة البربرية

ليجسد معاناة مريم وتحديها للموت رغم ألمها ومعارضة "حراس النوايا" لها وسيطرتهم على المدينة، ومن ثم يعود لحنين الماضي وطفولة مريم في مدينة سيدي بلعباس.

ومن ثم زواج مريم هربا من أقاويل الناس، لتعيش مأساة الإغتصاب وتهزم بفعل ضغط العادات وبعد صدمتها لم تجد إلا الرفض مهربا لها من بشاعة المحيط الذي كانت فيه، لتأتي الجمعة الحزينة التي اخترقت فيها رصاصة نحاسية عبثا رأس مريم وسكنت ذاكرتها، ورغم إصابتها القاتلة إلا أنها تحدّتها برقص في الأوبرا ولكن حراس النوايا لم يتركوها، حيث استهدفوا مدرستها "الفنون الجميلة" وحولوها إلى ملجأ بعد الفيضانات التي حدثت ولم يقفوا عند هذا الحد فقط وإنما طالبوا بترحيل أستاذتها للرقص "أنطونيا" إلى بلدها بعد أن خدمت الرقص ثلاثين عاما.

وحاصروها وقضوا على ما تبقّى من حياتها إلى أن جاءت الجمعة الحزينة بمستشفى مصطفى باشا، التي خانت فيها الأنفاس مريم وأخذتها إلى البرودة الأبدية وهي تحاول حماية عالمها من الإنهيار، بعد أن ردّدت كلماتها الأخيرة على مسمع رجلها الصغير.

وفي النهاية مريم تموت وتموت معها المدينة أيضا والراوي هو الآخر يموت في سبيل الحب.

المبحث الثاني:سلطة المكان

يرتبط المكان بحرية الإنسان ويمكن القول أن"العلاقة بين الإنسان والمكان من هذا المنحنى تظهر بوصفها علاقة جدلية بين المكان والحرية، وتصبح الحرية في هذا هي المضمار هي مجموع الأفعال التي يستطيع الإنسان أن يقوم بها دون أن يصطدم بحواجز... ناتجةعن الوسط الخارجي"[1]

فالإنسان يعيش في بيئة –المكان الخاص–ويتحرك فيه بحرية، لكن سرعان ما يفتقدها عند خروجه منه، ويبدأ في الخضوع لسلطة المكان، وتعد المساحات المكانية "دوائر متراكزة تتسع من حيز فردي يمارس فيه الفرد حياته اليومية، إلى حيز جماعي تنظمه الجماعة لتحافظ على تماسكها وتناغمها، إلى حيز قومي تحارب الدول لحمايته، إلى حيز كوني"[2]

وبما أن الإنسان يعيش في حالة من التردد والتغير بين "الرغبة في الانتشاروالانطلاق من قوقعة إلى أخرى في حركة طرد إلى الخارج، أو بين الرغبة في الانكماش والتقوقع في حركة جذب نحو الداخل"[3] فإن علاقة الأنا المركز تتغير بتغير المكان، كما أن حريته في الحركة تختلف من مكان إلى آخر، ومن ثم يقسم الباحثان **أ.مول "A.MOLES" وإ.رومر"E.ROMER"** المكان إلى أنواع أربعة، استنادا إلى معيار السلطة، التي تخضع لها هذه الأماكن،ويحسب حرية الفرد في التصرف في إطارها، وهذه الأماكن هي:

–عندي: وهو المكان الحميم الذي تكون فيه للإنسان مطلق السلطة.

–عند الآخرين:وهو مكان يشبه سابقه، يمنح الإنسان بعض الحميمية لكنه يشعر بالخضوع لسلطة الغير.

---

[1] سيزار قاسم: القارئ والنص، العلامة، الدلالة المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط (؟) ، 2002، ص 45.

[2] يوري لوتمان: مشكلة المكان الفني، تر: سيزا قاسم، عيون المقالات، الدار البيضاء، المغرب، ط2: 1988، ص 60.

[3] المرجع نفسه، من الصفحة نفسها.

– **الأماكن العامة**:وهي أماكن تمتلكها الدولة(السلطة العامة)، يشعر فيها الإنسان بالحرية وإن كانت حرية مقيدة ومحددة .

–**المكان اللامتناهي**:وهو المكان الذي لا يمتلكه أحد، ولا يخضع لسلطة أحد(مثل الصحراء)، وتكون الدولة وأجهزتها بمنأى عنها، أي أنها لا تمارس سلطتها القهرية فيها ونظرا لبعدها وخلوها من الناس، فهي تفتقر إلى مختلف المرافق الحيوية.[1]

وهذه الأماكن جميعها، يمكن أن تعطي للقارئ تصورا عاما عن الأماكن الجغرافية التي يمكن أن تجسدها الرواية.

إن شعور الأعرج بالمأساة اتجاه العاصمة جعله يخلدها بهذا العمل، فهي إذن ولدت من رحم معاناة الكاتب الذي لا يمتلك إزاء كل ما يحصل لبلده في ظل الصراع على الملك والسلطة بين "بني كلبون" و"حراس النوايا" كما ينعتهم سوى الكتابة لو علم منه أن الأديب حينما يفقد وطنا يكتب روايته، ذلك أن الكتابة انتصار للضياع وتثبيت وخلود للتاريخ والذاكرة.[2]

المدينة إذن، هي الجزائر العاصمة، وهي الفضاء الروائي الذي تبرز فيه الأماكن الرئيسية المرتبطة بالأحداث التي تدور حول قصة حب بين السارد(الأستاذ)وراقصة الباليه(مريم)والحكاية في الأصل منتهية، يقدمها السارد على شكل استرجاع وربما لا تتعدى ساعات من موت مريم في المستشفى يليها انتحار الأستاذ من أعلى الجسر.[3]

---

[1] Molestet

[2] ينظر، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، المدينة في رواية "سيدة المقام" لواسيني الأعرج، قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع4 ،ص 1.

[3] المرجع نفسه، ص 2.

كما يحاول منذ الوهلة الأولى الكشف عن مكان وقوع أحداث الرواية، وربطها بيوم الجمعة المقدسة اليوم الأفضل بين كل أيام الأسبوع في الخطاب الديني لكنه يصبح هنا اليوم الأسوأ عند الأبطال، فهي جمعة حزينة بائسة بل وملعونة أيضا[1].

تعتبر المدينة الخلفية المكانية التي ينطلق منها النص، وفي ذلك تأكيد على العدائية القائمة منذ البداية مع المدنية، وإن كانت الرواية كلها قائمة على صورة المدينة إلا أن تواترها يبلغ مداه الفصل الثاني الموسوم بـ (ظلال المدينة) حيث يركز السارد على وصفها مقارنا بين ماضيها وحاضرها المتردي، فمنذ أحداث أكتوبر1988بدأت تتغير"وكل شيء فيها بدأ يفقد معناه،الشوارع،السيارات،البنايات،حتى الوجوه التي تعودنا على وضاءتها صارت متسخة، الأشواق التي تحتل قلب المدينة، لم تعد تحفل كثيرا بالفرح"[2]أصبحت الطرقات والشوارع خالية من المارة الذين صاروا يخشون النزول إلى المدينة بعدما بدأت تخسر سحرها وبريقها شيئا فشيئا، لقد صارت منهكة،غارقة في صمتها الرهيب، منذ أن جاء حراس النوايا بدأت المدينة تلوح بنصب مشانقها وتسل السكاكين والسيوف، وتحشو أسلحتها بالبارود....."[3]

قدوم حراس النوايا الجدد غير وجه المدينة، حتى أضحى حضور الموت بشوارعها أمرا مألوفا، مثلها مثل المدينة حزينة منطوية على ذاتها،فارغة، غارقة في صمتها لاسيما ليلا.

ذكر السارد الأحياء والشوارع التي تدور فيها الأحداث(شارع عبان رمضان،شارع محمد الخامس.....)ذكرا عابرا لا يكتسب وصفه الأهمية الكبيرة كباقي الأماكن في المدينة ضمن البنية السردية[4].

---

[1] ينظر، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، المدنية في رواية "سيدة المقام" لواسيني الأعرج،ص1

[2] واسيني الأعرج: سيدة المقام، منشورات الفضاء الحر، الجزائر، ط1، 2001، ص 35.

[3] المرجع نفسه، ص 20.

[4] مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، المدنية في رواية (سيدة المقام) لواسيني الأعرج، ، ص 03.

حتى الشوارع كالعباد غيرت أصالتها وهويتها،ولبست حلة غير حلتها، ضاعت ملامحها وسط الألبسة المستوردة من كل بقاع الدنيا، وأصبح شارع مدينة الجزائر العاصمة كأنه لم يعرف أبدا ألبسته الخاصة الفولار البربري ، العباية الوهرانية ، الملاية القسنطينية ، الحايك التلمساني الذي لا يظهر إلا سحر العيون، والفوقية والبلغة، "يالطيف شارعنا الريح الي يجي يديه"[1]كل الشوارع ضيعت ألوانها الأصلية وذاكرتها وصارت باردة مزيفة.

تزداد مأساة السارد وشعوره بالخيبة واليأس والحزن والأسى بعد موت مريم لتبلغ أزمته أوجها في مدينة كئيبة شكلت "بؤرة لاستلاب الإنسان وتغريبه عن إنسانيته ووعيه لذاته"[2]فلا يجد إلا الانتحار مهربا كمظهر من مظاهر رفض الواقع والتعبير عن متطلبات المثقف ومواطن معاناته ومكاسبه.

إن انهيار المدينة وموت مريم يؤرقان السارد ويزيدان من فجيعته فنجده كثيرا مايربط بين حبيبته مريم وبين الوطن الضائع(المدينة)حيث كونها امرأة تمثل المدينة،الثقافة،الحضارة،الحرية والحب فتصبح بمناجاته لها رمزا معادلا للوطن، لمدينة الجزائر"كانت مريم وردة هذه المدينة وحلمها،وتفاحة الأنبياء المسروقة في لحظة غفلة، رعشة المعشوق وهو يكشف فجأة خطوط جسد معشوقته"[3]

مريم "هي المدينة، هي الأشجار، هي قطرات المطر البلورية التي كانت تتسرب إلى جسدي، هي بحري المتوحد بين شواطئه المهجورة"[4]

---

[1] واسيني الأعرج، سيدة المقام، منشورات الفضاء الحر، الجزائر، ط1، 2001، ص 23.

[2] عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية، الصور والدلالة، دار محمد علي للنشر، تونس، ط 2003، 1، ص 116، نقلا عن عبد الفتاح إبراهيم، البنية والدلالة، ص 182.

[3] واسيني الأعرج، سيدة المقام، منشورات الفضاء الحر، الجزائر، ط1، 2001، ص 05.

[4] المرجع نفسه، ص 32.

تموت مريم رمز المدينة في النهاية وتموت بذلك المدينة وتتساقط أوراقها كأوراق الخريف، ويغادرها الأبطال مجبرين فارين من كل الندوب التي لحقت بها، وكان ذلك عند الكاتب تعبيرا عن رفض الواقع المعيش، واقع المثقف المليء بالضغوطات من كل جانب.

هي ذي المدينة(الوطن)تختزل في مريم في حياتها، في مأساتهاوفي صراعها مع الحياة وحتى في موتها.

ترسم الرواية السارد في كامل ضعفه واستسلامه وفي وطأة المكان عليه، وذلك في مدينة عبرت على المستوى الروائي عن حقيقة أزمةالمثقف والضغوط الممارسة عليه التي تؤدي به إلى إقرار فكرة الانتحار.

يحاول الأعرج تبرير إنهزامية المثقف وفكرة إنتحاره بإعطاء تفسير مقنع لخيبته الذاتية وذلك لتفاقم الهوة العميقة بين المثقف والمجتمع والسلطة في مدينة لا تعي للثقافة معنى.

يتراءى لنا من كل ما تقدم في(سيدة المقام) أن المدينة ما كانت إلا مرتكزا للأحداث النفسية والذكريات بحيث أنها فضاء في مهمته تجسيد رؤى الكاتب والشخصيات ومن خلالها أراد الكاتب إدانة وتعرية كل الأوضاع السياسية والثقافية والاجتماعية عن طريق السارد (الأستاذ) باعتباره أقرب صوت له، والذي لم يكن له من قوة للصمود والوعي ما يؤهله للتعايش معها وفيها كيفما كانت.

المبحث الثالث: الدين/ الوعي:

يرتبط الدين بالشخصية العربية على صعيد الهوية وبالتطور الاجتماعي العربي على صعيد الإيديولوجيا، ولأن الهوية الوطنية أو القومية وكذلك حركة الصراع الاجتماعي هما في نهاية المطاف جزء من منظومة الحقل السياسي فإننا لا نستطيع تجاهل علاقة الدين الحميمة بالسياسة فهذا هو درس التاريخ ودرس الواقع معا.

عندما "نتحدث عن الدين فلسنا نقصد العقيدة أو الإيمان أو التدين أي علاقة الإنسان الوجدانية والروحية الحميمية بما يعتبر مقدسا ومطلقا، هذه العلاقة التي تشكل خصوصية وعيه بالكون والطبيعة والمجتمع، وإنما نقصد التجلي العملي النسبي لهذه العلاقة في صور مختلفة من الوعي والممارسات الاجتماعية وخاصة في مجالي السلطة والنظام الاجتماعي[1])

ذلك أن المسألة الدينية أصبحت ظاهرة إشكالية وموضوع مجادلة يبعث على المساءلة أمام تراجع إيمان الفرد والجماعة مقابل إنتشار القيم المادية النفعية.

تقدم رواية "سيدة المقام" المتطرف الديني لتدنيه، وفي الوقت ذاته تكشف عن متطرف ثان،تمثل تطرفه في شذوذه، وخروجه عن قيم المجتمع الذي يعيش فيه،بل يتمرد داعيا إلى الخروج عليها،وبذلك يكون النص قد خلق من حيث يدري الكاتب ،أولا يدري شخصية متطرفة،أراد من خلالها انتقاد التطرف الديني،لكنه وهو يفعل ذلك ،شارك إلى جانب عنف السلطة في إنتاج هذا التطرف الديني.

إن سلوك الشخصية في الرواية،خاصة شخصية المرأة في سعيها لكسر ثقافة المجتمع المتعلقة بالأنثى،تتطور لتصبح شخصية متطرفة في سلوكها وأفكارها،في نظر الانتقام من المجتمع وتقاليده، كان سبيلها إلى التغيير

[1] محمود أمين العالم: الدين والسياسة، مجلة الحداثة، ص 22.

مشوبا بالعنف،تماما مثلما فعل المتطرف الديني*الذي ساقته أفكاره العنيفة إلى سلوك عنيف في محاولة تغيير المجتمع،لذا فهما متساويان تقدم الرواية نموذجين للمتطرف يقعان على طرفي نقيض،حيث يمكن الحديث عن وعي الكاتب بمضمون روايته وهو يبني شخصياته،وينسج حكاياته،ومدى تحكمه في حركة الشخصية،إن اعتبرناها قد تمردت على أبوته،أو أنها إنتاج فكرة،وهو الأمر الأكثر خطورة،لأننا نكون أمام عنف الكتابة،أو عنف المثقف،وتكون إشكالية العنف ليست مسألة جماعة، انتهجت العنف وسيلة إنما هي مسألة مجتمع بكامله ترسخ فيه السلوك العنيف،يمارسه الفرد من موقعه الذي هو فيه.[1]

وقد كشفت رواية التسعينيات عن وعي يرى العنف نتيجة التطرف المتصاعد بأشكال،مثلتها نماذج لشخصيات تمارس عنفا،يبدأ فكرة تكبر شيئا فشيئا،ثم تتحول إلى تعصب يتخذ له مظهرا في اللحى والكحل والقميص بالنسبة للمتطرف الديني،بينما يتجلى تطرف المتطرف المعاكس في الفكر والسلوك،واللباس بالنسبة للمرأة المثقفة التي تتحدى المجتمع،وتخرج شبه عارية،تشرب الخمر،وتدخن السجائر،وتمارس الجنس باسم الحرية،لتعلن عن الشذوذ في مقابل التطرف،وهو السبب الذي جعل "شخصية الأنثى المثقفة..هيهي على الدوام سلبية مغتربة وضائعة لا تملك حولا ولا قوة ولا تحسم موقفا أو فعلا،صحيح أن هذه الشخصية هي على الدوام كذلك رافضة خانقة ومحتجة،بصوت انفعالي جهير..بيد أن هذا الرفض والخنق والاحتجاج ليس إلا دليلا على السلبية والاغتراب والضياع،والصوت الانفعالي الجهير

* المتطرف الديني: يتمثل في شذوذه، وخروجه عن قيم المجتمع الذي يعيش فيه بل يتمرد داعيا إلى الخروج عليها.

[1] نجيب العوفي، مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1،1987، ص 357.

ليس أكثر صيحة في واد،ذلك أن الوعي الذي يتحكم في هذه الشخصية وهو وعي انفعالي ذاتي ورومانسي"[1]،إضافة إلى تطرف السلطة،لينهي ذلك كله بالقتل كأعلى درجات التطرف.

ويتخذ التطرف في "سيدة المقام" صفة التيار الواحد يتدفق من بداية الرواية حتى نهايتها.

ويعدو موضوعها الأساس،يشكل بنيانها،عناصره شخصيات ثانوية،لا تحمل أسماء،تشترك في شكلها وتفكيرها وسلوكها ،تعبر عن العنف والتطرف،وتضمر رغبة في هدم المجتمع،وبناء مجتمعها هي،تستمد مرجعيتها من النقل لاغية العقل،ومدعية امتلاك الحقيقة المطلقة.كل من يخالفها عاص مصيره النار،أبرز بذلك أحادية الرؤية والفعل،بنية وحيدة لها،تكوين يراه الراوي نابع من عقلية ريفية،أنتجت نماذج متعصبة،إنهم "حراس النوايا ينتشرون في المدينة مثل رمال رياح الجنوب الساخنة،تعرفين أنهم لا يأتون إلا عندما تخسر المدينة سحرها وتعود بخطى مثبتة إلى ريفها الشفوي،الذي لا يقبل إلا بطقوسه"[2]

[1] نجيب العوفي، مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية، ص 357.

[2] واسيني الأعرج، سيدة المقام، مومنم للنشر، الجزائر، ط، ص 3.

المبحث الرابع:علاقة المثقف بالمكان /المثقف والحلم الضائع:

يعتبر مصطلح الثقافة من أدق المصطلحات التي خاض فيها الفكر البشري ولا يزال،وإذا كانت كلمة ثقافة واسعة النطاق متعددة الجوانب،فإنها أصل لكلمة "المثقف".

فجاء في كتاب: "المثقف في الرواية الجديدة الطرائق السردية" **لهويدا صالح** أن **إدوارد سعيد** قد اعتبر أن المثقف هو من وهب ملكة عقلية،لتوضيح رسالة أو وجهة أو موقف محدد أو تجسيد أي من هذا وتباينها بألفاظ واضحة لجمهور ما[1].وأضافت أيضا أن المثقف هو إنسان يراهن بكينونته كلها على حس نقدي[2].

وتبقى شخصية المثقف شخصية أساسية في النصوص السردية وفي مقدمتها الروايات كرواية "سيدة المقام"،وتبرز شخصية المثقف في هذه الرواية في شخصية الأستاذ الجامعي "أستاذ الفن الكلاسيكي"،وهي شخصية محبة للعزلة والوحدة والموسيقى والكتابة،وشخصية محبة لوطنها.

والمثقف في سيدة المقام "السارد" يستعيد سيرة حبيبته مريم التي تجرأت المدينة على رميها برصاصة طائشة،وذلك في أحداث أكتوبر 1988 إثر مظاهرات،فيذكر عشقها الكبير للمدينة وتعلقها الشديد بشوارعها وبناياتها وقاعات المسرح وصالات الرقص.

وبعد رحيلها عن مسقط رأسها سيدي بلعباس التي كانت بالنسبة لها مدرستها الأولى[3].فتقول:"كبرت فيها تعلمت فيها،كان هذا قبل أن تنكفيء ذات مساء على فمها في البحر المنسي وأمام صالة الرقص عندما غزتها البلدية بأوامرها"[4]

---

[1] ينظر: هويدا صالح، صورة المثقف في الرواية الجديدة الطرائق السردية ج2 رؤية ...، للنشروالتوزيع، ، ط1، القاهرة ، 2013، ص 21.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] مجلة عقير أحداث في اللغة والأدب الجزائري، ص 234.

[4] واسيني الأعرج، سيدة المقام، ص 44.

وانتقال مريم إلى مدينة الجزائر جعلها حريصة على عدم مغادرتها إلى أي مكان داخل أو خارج الوطن قبل أن تصاب برصاصة أخذت أحلامها،ولكنها لم تبال بهذا الألم وبتحذير الأطباء وواصلت رقصها.

والمكان في رواية "سيدة المقام" هي مدينة الجزائر التي شكلت الفضاء الروائي وهي التي برزت فيها الأماكن الرئيسية المرتبطة بالأحداث والتي تدور حولها القصة[1].

ومن خلال الرواية تبرز لنا أن علاقة المثقف (الأستاذ)بالمكان(المدينة)،علاقة يشوبها التوتر والإحساس بالانكسار والإحباط وهذا بعد أن أقدمت المدينة على قتل مريم في يوم الجمعة وهو اليوم الحزين في ذاكرة مريم.

ومنذ هذه الفاجعة بدأت تتغير هذه المدينة،حتى أضحى حضور الموت بشوارعها أمرا مألوفا،مثلها مثل المدينة الغارقة والمنطوية على ذاتها وذلك بعد قدوم حراس النوايا[2].

المدينة التي استسلمت لحكامها الجدد فيقول:"المدينة المنهكة إلى لحظة. لحظة واحدة يتعطل فيها فكرك"[3]

وهذه الأوضاع التي آلت إليها المدينة تكشف حالة الضياع والتيه التي يعيشها المثقف(أستاذ نقد الفن الكلاسيكي)في الجزائر فيقول:"قبل الاستقلال ذبحوا المثقف على ثقافته واليوم يعيدون إنتاج عصرهم البائد.هذه البلاد تربت على معاداة الثقافة"[4]

---

[1] مجلة عبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ص 234.

[2] المرجع نفسه، ص 235.

[3] واسيني الأعرج، سيدة المقام، ص 11.

[4] واسيني الأعرج، سيدة المقام، ص 75.

ويزداد شعور الأستاذ بالسقوط والانكسار وعدم القدرة على مواجهة الواقع السيئ،وتشتد وطأة هذا الإحساس في نفس الأستاذ وذلك عندما يصحو من سكره فيقول:"وجدت نفسي فجأة في شاحنة كبيرة مخصصة لنقل الزبالة بين أكياس الفضلات والروائح الكريهة. كنت غارقا في القمامة والعفونة"[1]

يشعر المثقف(الأستاذ)بحيرة ودهشة نتيجة التحولات السريعة والمتتالية التي تشهدها المدينة يوما بعد يوم، من قتل وتخريب وكبت للحريات من طرف* بنو كلبونفيقول:"بنو كلبون صنعوا الموت وجاءوا بهذا الوباء،عندما سرقوا استقلال هذا الوطن وملأوا المدن بالكذب والسرقات.ثم قالوا المدينة بدون ثقافة سطوحها،ملأوا المكتبات بالمطبوعات التي تستعيدالخرافات"[2]

والمثقف في هذه المدينة لا يملك سوى الجو الذي صنعه بيده ألا وهوبيته ،الذي كان يلوذ به إلى عالم الكتابة رغبة في التحرر من الذوق العام،التي فرض على جميع المثقفين حيث يقول:"لا أستطيع العيش داخل أذواق تفرض علي في مدينة مكفنة تموت باكرا"[3]

وبعد الفاجعة التي ألمت بالمثقف وذلك بعد مقتل مريم وأيضا بعد موت الثقافة في وطنه،وبعد أن بلغت به الخيبة والتذمر من الواقع حدتها، ما كان له إلا أن يقدم على الانتحار ويضع حدا لحياته.

---

[1] واسيني الأعرج، سيدة المقام ، ص 226.

* هو صفة أطلقها الكاتب على الذين يمثلون الأنظمة المتسلطة.

[2] المرجع نفسه، ص 228.

[3] واسيني الأعرج، سيدة المقام، ص 71.

المبحث الخامس :مأساوية الذات/وحدة المصير:

برزت ملامح التجربة الذاتية في أكثر من رواية منها رواية "سيدة المقام"،وكان السارد بطلها بامتياز فيقول:"المستشفى واسع،وأنا صغير يمتد بداخلي كالظل الأبيض)..(وأنا( )..الرجل الصغير المفرغ من داخله مازلت أتمرس وسط هذه المساحة المقلقة ينتابني حزن عميق.

حزن الذي لا يمتلك أي جواب لدهشته"[1]. وقال أيضا "كانت الأصوات قاتله تأتيني من بعيد شعرت بداخلي يرحل بكامله موت العزلة صعب"[2] لتكون هذه التجارب إشارة إلى الإنكسارية والتأزم جراء الخوف والخيانة.

وقد عبر السارد عن لحظة احتظار مريم في مستشفى مصطفى باشا قائلا:"كنت أشعر بحرارة أنفاسها وهي تتقطع بهدوء وتتباعد شيئا فشيئا،ثم من جديد تضيق بها المسافات بشكل غير طبيعي.

أظن أن المسألة لا تعدو أن تكون إغفاءة لم أكن مستعدة لتضييعها عليها.الموسيقى تنقطع الأشعة التي كانت تملأ عينيها بدأت تتكسر بعنف عندما فتحت عيني باتجاه المدينة ،كانت العصافير تنسحب من أزقتها وشوارعها"[3] لتزداد مأساة السارد وشعوره بالخيبة واليأس والحزن والأسى بعد موت مريم،وتبلغ أزمته أوجها. واستفحل اليأس والإحباط به في هذه المدينة التي شكلت بؤرة لاستلاب الإنسان وتغريبه عن إنسانيته ووعيه لذاته[4].

---

[1] المؤتمر الدولي الثاني عشر: الجزائر 21-22 أغسطس 2016 لرواية العربية في الألفية الثالثة ومشكل القراءة في الوطن العربي، ص 163.

[2] واسيني الأعرج، سيدة المقام، ص 7.

[3] المرجع نفسه، ص 22.

[4] مجلة مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ص 236.

وانهيار المدينة وموت مريم زاد من فجيعة السارد،فنجده كثيرا مايربط بين حبيبته مريم وبين الوطن الضائع (المدينة)من حيث كونها امرأة تمثل المدينة،الثقافة،الحضارة،الحرية.[1]

أما لحظة سقوط الذات فتتمثل بوضوح في الإحساس الفظيع بالهبوط النفسي وبفقدان القيمة الحقيقية في الوجود،وذلك حينما يلقى به في مزبلة مع النفايات:"رموك هناك في سيارة زبالة تابعة للبلدية وراحوا"[2] والحالة التي وصل إليها الأستاذ جراء فقدان مريم عمقت الهوة بينه وبين الواقع،وجعلته يعيش حالة من التيه والذهول غير الطبيعي فيقول:"تأملت نفسي من جديد،شيء ما يسير بشكل غير طبيعي كه....كه....برك أنت أستاذ جامعي؟ وكاتب وعاشق للفن الكلاسيكي؟ يارجل يكفي من النكت،أنت لا شيء في هذا الفضاء المؤكسد"[3] لدرجة أنه أراد الفرار بذاته من هذه المدينة ويقرر بهذا أن يموت بدل أن يعمق عشقه للحياة ولتنتهي الرواية برفضه للحياة،والفضاء الذي يمكن أن يخلصه من حيرته ويعيد إليه سعادته المفقودة هو الإنتحار واللحاق بحبيبته مريم وذلك من فوق"**جسر تليملي**"الذي يقف عند مأساة المثقفين في بلادنا وينتحر على طريقة الشاعرة **صافية كتو**.[4]فيقول: "تذكرت صديقتي الشاعرة صافية كتو التي قتلتها المدينة فرمت بنفسها من أعلى قمة في جسر تليملي الذي يربط أسفل المدينة بمرتفعاتها"[5]

لترسم هذه الرواية ضعف السارد وانهزامه وذلك بعد انتحاره في مدينة عبرت عن حقيقة الضغوط التي تمارس على المثقف، وتجسد لنا من خلال هذا أن "سيدة المقام" كان خطاب انهزامياستسلامي لا يطمح لتغيير الواقع الثقافي المعاش،وذلك لتفاقم الهوة العميقة بين المثقف والمجتمع والسلطة في مدينة لا تعي الثقافة تماما.

---

[1] مجلة مخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ص 236.

[2] واسيني الأعرج: سيدة المقام، ص 226.

[3] واسيني الأعرج: سيدة المقام ، ص 273.

[4] مجلة مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ص 243.

[5] واسيني الأعرج، سيدة المقام، ص 259.

وتبين لنا أن المدينة ماهي إلا فضاء فني استعمله الكاتب،لتجسيد رؤاه وذلك من خلال إدانة كل الأوضاع السياسية والثقافية والاجتماعية.

خاتمة

تعد الرواية من أهم الفنون الأدبية في العالم العربي ، و قد شهدت تقدما ملحوظا منذ ظهورها ، و هذا نظرا لشساعة فضائها ، إذ أصبحت قادرة على إستيعاب العناصر و الأسس الفنية التي بني عليها العمل الأدبي ، فلم تعد الفنون الأخرى قادرة على إيقاف تقدم هذا الفن أو دفعه إلى الجمود . فالرواية جنس أدبي متحول يخضع إلى مجموعة الدوافع و العوامل ، تجعل الأديب ينقل ما يتعرض له مجتمعه من أزمات مختلفة ، لأن الكاتب الروائي لا يكتب لنفسه بل يعمل دائما على إيجاد الصلة بينه و بين أفراد مجتمعه.

إن أهم النتائج التي توصلنا إليها أثناء تحليل رواية "سيدة المقام " تركزت على مفهوم المكان نظريا و كيفية توظيفه جماليا ، و استنادا لذلك توصلنا للنتائج التالية :

- تعددت مفاهيم المكان بحسب إنتمائه اللغوي و المعرفي ، الديني و الفلسفي و الروائي و في الموروث العربي .

- أفرز المكان الفني تنوعا إصطلاحيا"الفضاء و الحيز" و السبب يعود إلى وجهات نظر النقاد المختلفة في فهمه و آليات توظيفه .

- عمق التلاحم بين هذين المكونين (المكان و الشخصية). دلالات الأمكنة ، و كشف عن وعي كبير بتداعياتها النفسية ، و آثارها في سلوكات الشخصيات و في معطيات الواقع الإجتماعي .

- يلعب الفضاء أو المكان دورا هاما في إنتاج بنيات النص الأدبي ، بحيث وجدنا عدة أنواع منها : الفضاء الجغرافي ، الفضاء النصي و الفضاء الدلالي ، و هي الخطوات الأولى لدراسة جمالية .

– تكشف بعض الروايات و تحديدا "سيدة المقام " ، "سوناتا لأشباح القدس " ، "شرفات بحرالشمال "– باعتبارها روايات ذات توجه حداثي — امتداد آفاق التجريب لدى الروائي ، من خلال أستثماره لبعض الفنون الجميلة كالرسم و الموسيقى و الرقص في التعبير عن قضايا المكان و إشكالاته المستعصية .

– أدت تعقيدات الواقع و إكراهاته المتنوعة ، و تبدد أحلام الشخصيات التي تعقد بناء المكان الروائي ، من خلال المراهنة على استخدام تقنيات و استراتيجيات معقدة :كأنسنة المكان و أسطرته ، و ترميزه ، مما أتاح للكاتب هامشا أرحب من الحرية للتعبير عن رؤاه و أفكاره ، و سمح له بتشخيص أزمة المكان ، و رصد مفارقات الراهن .

– تكشف الروايات المختارة عن جملة من علاقات الصراع المكاني التي تعيشها الشخصية الروائية ، لعل أهمها : الصراع على الأرض قبل فترة الاستقلال و بعدها ، و صراع الذات المثقفة في المدينة ضد القهر و الاستلاب ، و أيضا من خلال طرح بعض الروايات لجدلية الوطن و المنفى .

و في الأخير لا يدعي هذا البحث الإلمام التام بموضوع المكانية في النماذج الروائية المختارة ، فأبعاد الوعي المكاني لدى "وسيني الأعرج " لا حدود لها ، و قد أبانت الروايات عن وجوه عدة و مذاهب متنوعة في تعاملها مع هذا العنصر الفني ، أفضت إلى تراكم و تشعب دلالاته ، و أبقت أبواب البحث في المكانية مشرعة في ظل ما يرفد هذه التجربة الرائدة من روايات جديدة ، لعل آخرها"أصابع لوليتا" الصادرة شهر مارس 2012 .

ملاحق

السيرة الذاتية لواسيني الأعرج :

واسيني الأعرج أكاديمي و روائي جزائري يشغل اليوم منصب أستاذ في جامعة الجزائر المركزية و جامعة السوربون في باريس و يعتبر من أهم الأصوات الروائية في الوطن العربي ، إذ ألف العديد من الروايات التي لقت رواجا كبيرا .

ولد في **08 أغسطس 1954** بقرية سيدي بوجنان الحدودية في ولاية تلمسان ، و حصل على درجة الباكالوريوس في الأدب العربي من جامعة الجزائر لينتقل إلى سوريا لمتابعة الدراسات العليا ، و حصل على درجة الماجيستير و الدكتورا من جامعة دمشق ، عندما أنهى دراسته عاد إلى الجزائر و شغل منصبا في جامعته جامعة الجزائر، و في فترة التسعينات اضطر إلى مغادرة البلاد و ذلك بعد اندلاع الحرب الأهلية في الجزائر .

و من إنجازاته أنه كاتب معروف في جميع البلدان الناطقة بالعربية و الفرنسية . و منذ أوائل الثمانينات نشر أكثر من إثني عشر كتابا ، و قد تناولت أعماله غالبا تاريخ المضطرب للجزائر ، و ترجم بنفسه كتبه إلى الفرنسية .

أبرز الجوائز الأدبية التي حصل عليها :

بعد أن أصبحت رواياته محط إهتمام الكثير تحول الأعرج إلى أسطورة ادبية و تم تكليل مجهوداته التي يبذلها في الروايات عن طريق تقديم الجوائز و التكريمات .

* ففي عام 1997 م تم تكريمه على روايته "حارسة الظلال "و تم تصنيفها من أفضل خمس روايات صدرت في فرنسا.

* و في عام 2001 م حصل على جائزة الرواية الجزائرية .

* و في 2006 م حصل على جائزة المكتبين الكبرى .

* أما في 2007 م تم منحه جائزة الشيخ زايد للكتاب .

* و في 2010 حصل على جائزة الدرع الوطني و حصل أيضا في نفس العام على جائزة أفضل رواية عربية و ذلك بعد أن قدم روايته "البيت الأندلسي ".

أعماله الأدبية :

البوابة الحمراء (وقائع من أوجاع رجل) ، دمشق/ الجزائر 1980 .

- طوق الياسمين بيروت 1981 .

- (رواية) ما تبقى من سيرة لخضر حمروش ، دمشق 1982 .

- نوار اللوز ، بيروت 1983 – باريس للترجمة الفرنسية 2001 .

- مصرع أحلام مريم الوديعة بيروت 1984 .

- ضمير الغائب دمشق 1990 .

- اللية السابعة بعد الألف .

- سيدة المقام ، دار الجمل ، ألمانيا / الجزائر 1995 ، الترجمة الفرنسية 2009 .

- حارسة الظلال ، الطبعة الفرنسية 1996 ، الطبعة العربية 1999 .

- ذاكرة الماء ، دار الجمل ، ألمانيا 1997 .

- مرايا الضرير ، باريس للطبعة الفرنسي ، 1998 .

- شرفات بحر الشمال ، دار الآداب ، بيروت 2001 .

- مضيق المعطوبين ، الطبعة الفرنسية ، 2005 .

- كتاب الأمير ، دار الآداب ، بيروت ، 2005 ، باريس للترجمة الفرنسية 2006.

- سوناتا لأشباح القدس ، دار الآداب ، بيروت ، 2009 .

واسيني الأعرج

سيدة المقام

مراثي الجمعة الحزينة

رواية

قائمة المصدر و المراجع :

- ابن منظور : لسان العرب مج 13 ، دار صادر بيروت ، لبنان ط3،(1414هـ،1994) .

- الخليل بن أحمد الفراهيدي :كتاب العلن ، مكتبة لبنان ناشرون بيروت ، ط1 ، 2004 .

- الزمخشري :أساس البلاغة ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، ج2 منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط1 (1419 هـ - 1998 م).

- حسن مجيد العبيدي : نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1987، ط1 .

- عبد الرحمن بدوي :موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ج 2، بيروت ، ط1 ، 1984 .

- مصطفى حسيبة : المعجم الفلسفي ، دار أسامة للنشر و التوزيع ، الأردن ، عمان، ط1 ،

- محمد عابد الجابري : مدخل إلى فلسفة العلوم العقلانية المعاصرة ، و تطور الفكر العلمي مركز الدراسات الوحدة العربية ، ط(؟) بيروت، لبنان .

- مهدي عبيدي ، جماليات المكان في ثلاثية حناميته (حكاية بحار – النقل ، المرفأ البعيد ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، ط(؟)، 2011م.

- عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، "بحث في تقنيات السرد "، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب ، الكويت ،ط(؟)، 1998 .

- فهد حسين : المكان في الرواية البحرنية "دراسة نقدية" فراديس للنشر و التوزيع ، البحرين ، ط1 ،2003 .

- أبو نواس ، الديوان ، تح أحمد عبد المجيد الغزالي ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان .

- أحمد طالب ، جمالية المكان في القصة القصيرة الجزائرية ، الأثر ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة ورقلة ، الجزائر ، ع 4 ، ماي 2005 .

- الطاهر وطّار ، العشق و الموت في الزمن الحراشي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، ط1 ، 1981 .

- الطاهر وطّار ، اللاز ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ط4 ،1983 .

- المؤتمر الدولي الثاني عشر : الجزائر 21-22 أغسطس 2016 ، لرواية العربية في الألفية الثالثة و مشكل القراءة في الوطن العربي .

- جماعة من المؤلفين ، جماليات المكان . ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ط2 ، 1404 هـ ، 1984 م.

- حبيب مونسيم ، فلسفة المكان في الشعر العربي ، قراءة موضوعاتية جمالية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2001 .

- حسين نجمي ، شعرية الفضاء السردي المتخيل والهوية في الرواية العربية ،دراسة نقدية،المركزالثقافي العربي،بيروت ،لبنان، ط1،

- صورة المكان و دلالاته في روايات واسيني الأعرج ، مذكرة دكتوراه ،جامعة محمدخيضر بسكرة 2012 .

- عبد الحميد بن هدوقة :ريح الجنوب ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1983 .

- عبد الصمد زايد ، المكان في الرواية العربية ، "الصورة و الدلالة " ، كلية الآداب منوبة ، دار محمد علي للنشر ، الجمهورية التونسية ، ط1 ، 2003 .

- عمارين القريشي ، دلالة المكان في الشعر الجاهلي ، جامعة محمد بوضياف ، مسيلة.

- غالب هلسا ، المكان في الرواية العربية ، مجموعة من الباحثين الرواية العربية (واقع و آفاق)، دار ابن رشد للطباعة و النشر ،ط1 ، 1981 .

- مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري ، المدينة في رواية "سيدة المقام" لواسيني الأعرج ، قسم الأدب العربي ، كلية الآداب و العلوم الانسانية و الاجتماعية ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة.

- محمود أمين العالم : الدين و السياسة ، مجلة الحداثة .

- مرزاق بقطاش : مقاربة الواقع في القصة القصيرة المغربية (من التأسيس إلى التجنيس)، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2002 .

- ميتران ، النص الروائي .

- هويدا صالح : صورة المثقف في الرواية الجديدة ، الطرائق السردسة ج2 رؤية للنشر و التوزيع ، ط1 ، القاهرة 2013 .

- واسيني الأعرج : الطاهر وطّار و تجربة الكتابة الواقعية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، (د.ط) 1983 .

- واسيني الأعرج :اتجاهات الرواية العربية في الجزائر (بحث في الأصول التاريخية و الجمالية للرواية الجزائرية)المؤسسة الوطنية للكتاب ، (د.ط) 1986 .

- واسيني الأعرج ، سيدة المقام ، منشورات الفضاء الحر ، الجزائر ، ط1 ، 2001 .

- يوري لوتمان ، مشكلة المكان الفني ، سيزا قاسم ، عيون المقالات ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط2 ، 1988 .

espace casteme , paris,1972.'Molest – rohner , psychologie de l-

-محمد عزام ، فضاء النص الروائي، مقاربة بنيوية تكوينية في أدب سليمان ط1 ، 1996 ، دار الحوار للنشر و التزيع ، اللاذقية .

شكر

إهداء

مقدمة.....أ

مدخل.....3

الفصل الأول: المكان الماهية والمفهوم12-20

المبحث الأول: تجليات المكان

- المكان في الفن.....12
- المكان في الموروث العربي.....13

المبحث الثاني: المكان في السرد الروائي

- المكان الروائي.....16
- أنواع الأمكنة.....19

المبحث الثالث: حضور المكان في الرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية.....20

الفصل الثاني: دلالات المكان في رواية سيدة المقام24-39

المبحث الأول: ملخص الرواية.....24

المبحث الثاني: سلطة المكان.....26

المبحث الثالث: الدين /الوعي.....31

المبحث الرابع: علاقة المثقف بالمكان /المثقف والحلم الضائع.....34

المبحث الخامس: مأساوية الذات / وحدة المصير.....37

خاتمة.....41

ملاحق.....44

قائمة المصادر والمراجع.....48